



ترجمة خاصة

private translation

مأساة أربع ساعات: أدلة من الاجتياح العسكري لنابلس تثير تساؤلات حول رواية الجيش الإسرائيلي والشرطة

عميرة هس/ هآرتس

ترجمة: مصطفى إبراهيم

علي عنتر، أعزب يبلغ من العمر 26 عامًا، كان يحب ركوب الدراجة النارية. كان يعمل محاسباً من مساعدة نفسه على العيش. حمدي شرف، البالغ من العمر 35 عامًا وأب لطفلين، كان أيضاً أمين مكتبة. لم يكونوا مسلحين أو مرتبطين بـ "عرين الأسود"، وقتل كلاهما على يد جنود إسرائيليين في مكانين مختلفين. حاتم: كانوا في الشارع في ليلة 24-25 تشرين الأول (أكتوبر) عندما قامت قوة مشتركة من الجيش الإسرائيلي والقوات الخاصة (اليمام) والشاباك باقتحام نابلس وانتشرت القوات حول وداخل البلدة القديمة.

وجاء في إعلان المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي عن الاقتحام، ما يلي: كان هدفها الرئيسي هو اسم شخص واحد: وديع الحوح، 31 سنة، الذي قُتل أثناء إقامته مع بعض أصدقائه في مبنى حجري في البلدة القديمة.

وذكرت بعض التقارير الصحفية في إسرائيل أنه قُتل ومعه أربعة فلسطينيين آخرين في "تبادل لإطلاق النار". لكن وفقاً لشهود عيان، لم يدخل عنتر وشرف تبادلاً متماثلاً لإطلاق النار على الإطلاق عندما أطلق قناصة إسرائيليون النار عليهم فأردوهما قتلى.

لقد مرت ثلاثة أسابيع منذ تلك الليلة. تاريخ شبه منسي، من منظور الإعلام الإسرائيلي. لكن مثل هذا الاقتحام العسكري يترك بصمة عميقة ويبقى جزءاً من الحياة اليومية الفلسطينية التي تستحق الكتابة عنها. الإعلان القصير عن المتحدثين باسم الجيش الإسرائيلي والشرطة والتسريبات التي نُشرت بعد فترة وجيزة من الاقتحام "لا تُنسب"، تم إثباتها في إسرائيل على أنها "رواية الراوي العارف". الجيش الإسرائيلي يفوز دائماً. أولئك الذين يريدون إعطاء صورة أكثر اكتمالاً هم بالفعل في وضع غير مؤات. كل ما عليهم فعله هو إضافة شهود عيان ووضع بعض علامات الاستفهام. لنبدأ معهم.



ترجمة خاصة
private translation

"شقة مخفية"

وبحسب الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي، فقد عثرت القوات على الحوح وهاجمتها في ما أسموه "شقته مخفية للمخبئ". والشقة التي قُتل فيها تعود لعائلة الحوح الواقعة داخل خوش العطوط - فناء.

مع مجمع من البيوت الحجرية المقوسة التي يزيد عمرها عن قرن. كل شيء معروف أن الشقة تنتمي لهذه العائلة، والبعض يعرف أنها رُممت منذ وقت ليس ببعيد على أمل أن يتزوج وديع قريباً. على الأرض أسفل هذه الشقة توجد غرفة الاجتماعات (ديوان) لعائلة العطوط، حيث تقام المناسبات العائلية والاجتماعي.

وفيما يتعلق بالتفاصيل الواردة في المقال، أحال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي صحيفة "هآرتس" إلى المتحدثة باسم الشرطة. ولم تجب الشرطة على السؤال عن سبب تقديم الشقة على أنها "شقة مخفية". واكتفت بالقول إن "مقاتلي الجيش الإسرائيلي واليما و"الشاباك" وقوات أخرى من حرس الحدود عملت على إحباط بنية تحتية إرهابية عنيفة في نابلس، ونفذت الأجهزة الأمنية كل التنسيق المطلوب للنشاط، وبالتالي تم إطلاق أعيرة نارية على مسلحين عرضوا قواتنا للخطر".

معمل متفجرات

وصرح المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أن "شقة الاختباء" استُخدمت كمختبر لتحضير المتفجرات و "قامت قواتنا بتفجيرها"، والشقة، كما رأينا في 30 تشرين الأول (أكتوبر)، تحمل بالفعل علامات واضحة على هجوم من الخارج، مع العديد من صواريخ ماتادور كما ورد: نوافذ وأثاث مكسور، ومفصلات معدنية وحديدية مفككة وملقاة، وشاشات تلفزيون وأجهزة كمبيوتر مكسورة، ومفروشات أرضية ممزقة، وعلامات طلقات نارية على الجدران، وبقايا طائرة بدون طيار، ومحركات كمبيوتر.

ولكن من المفترض أن العبوات الناسفة كانت ستلحق أضراراً أكبر بكثير - إن لم يكن في جدران المنزل السميكة، ثم داخل الشقة، وربما ترك آثار النار التي لم تكن موجودة. في الحوش نفسه، في مجمع المباني الحجرية المجاورة حيث تقع الشقة - لم تُلاحظ أي علامات تدل على وجود عبوة ناسفة. هل كان هناك شقة أخرى تم تفجيرها "معمل متفجرات" ولا يعلم جلالة الملك بها؟



ترجمة خاصة

private translation

دخول الجنود

وبحسب بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية - ولكن ليس بحسب تصريح الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي - دخلت قوات المشاة "شقة الاختباء" ثم فجرت العبوات الناسفة في "المعمل". بحسب فلسطينيين في الحي - جنود وشرطة إسرائيلية لم يدخل الضباط الشقة على الإطلاق. ولم تؤكد المتحدثة باسم الشرطة ولم تنف وجود جنود ورجال شرطة في الشقة.

شقة أخرى

وبحسب الجيران، اقتحمت قوة من المشاة في تلك الليلة شقة سكنية أخرى في البلدة القديمة، في شارع النصر، شمال شقة عائلة الحوح، واستولت عليها. وبحسب أحد التقارير فإن هذه الشقة خالية من المستأجرين. الشقة عبارة عن إضافة خلفية، أي جديدة وأقل متانة من المنازل الحجرية القديمة. ومع ذلك، لا تظهر فيها أي علامات خارجية لانفجار - لذلك من المحتمل أن "معمل المتفجرات" لم يكن موجوداً. وكان لدى الجيران انطباع بأن القوات العسكرية والشرطة أقامت هناك، كما لم تجب المتحدثة باسم الشرطة على سؤال حول هذه الشقة.

إطلاق النار على الشرطة

وبحسب وسائل إعلام إسرائيلية، أبلغ الجيش الإسرائيلي الأجهزة الأمنية الفلسطينية باقتحام قواته "في بداية العملية"، لكن الإخطار لم يكن ضرورياً: أطلقت القوات الخاصة النار على عناصر الأمن الفلسطينيين، الذين كانوا متمركزين في المكان وأصابتهم. دائماً في ساحة الشهداء أمام المدخل الشمالي للبلدة القديمة. أصيب خمسة على الأقل بنيران إسرائيلية - اثنان من جهاز الأمن الوطني واثنان من المخابرات العسكرية - بالإضافة إلى رجل هرع لإنقاذهم. ضابط شرطة خارج الخدمة كان في مكان الحادث). كان إطلاق النار هذا كافياً للأجهزة الأمنية الفلسطينية لإدراك أنه يجب عليهم التراجع بسرعة إلى المقرات والمراكز في جميع أنحاء المدينة، لئلا يتعرضوا للأذى.

إطلاق النار الإسرائيلي على أفراد الأمن الفلسطينيين المتمركزين في مواقع متفق عليها معروفة للجيش الإسرائيلي يتعارض مع ترتيبات التنسيق الأمني بين الطرفين. هل قرر الجيش الإسرائيلي والشرطة والشبابك مسبقاً تعريض حياة أفراد الأمن الفلسطيني للخطر (وبعض القواعد الأساسية لإبلاغ الفلسطينيين قبل دخول المنطقة أ).



ترجمة خاصة

private translation

أو أن المستعربين الذين أطلقوا النار عليهم لم يعرفوا أنه لم يتم إطلاق النار على أفراد السلطة الفلسطينية، أو أنهم لم يعرفوا أنهم كانوا على قيد الحياة بشكل دائم كما أن السؤال الموجه للمتحدث باسم الشرطة بهذا الشأن لم يلق إجابة.

خمس ساعات

القوة التي داهمت نابلس غادرت المدينة بعد حوالي أربع ساعات، مخلفة وراءها خمسة قتلى ونحو ثلاثين جريحاً أصيبوا في خمس ساعات مختلفة. لكل مشهود شهود عيان خاص به - أولئك الذين لم يتم العثور عليهم والذين تم تحديد موقعهم ويتحدثون، وبعضهم دقيق وبعضهم على ما يبدو يخلطون في شهادتهم التفاصيل التي سمعوها من الآخرين أو يكلمون ما نسيوه بالتقييمات والتفسيرات. هذه هي الصورة المأخوذة من شهاداتهم:

قبل منتصف الليل، كانت القوات الإسرائيلية - الشرطة الخاصة المستعربين و / أو الجنود - على سطح بنايتين: مبنى الريف ومبنى بيروت على "الجبل الشمالي" (جبل عيبال). عاد أحد المستأجرين، أ، إلى المنزل قبل منتصف الليل بحوالي خمس دقائق. قال لصحيفة "هآرتس" إنه عندما أوقف سيارته، وجهوا لي الليزر (مؤشر ليزر على البندقية) ووجهوا نحوي بطائرة بدون طيار. فهمت أن هؤلاء كانوا جنوداً، لكنني ما زلت لا أعرف أين قد كانوا. وقال إن الطائرة بدون طيار حلقت أيضاً بين المبنى والمدينة القديمة. أدرك (أ) والمستأجرون الآخرون أن القوة الإسرائيلية كانت على سطح بنايتهم وسطح المبنى المجاور فقط عندما أطلق رجال الشرطة أو الجنود النار في اتجاه البلدة القديمة والشوارع المحيطة بها. في تقديره، المسافة من المدينة القديمة إلى سطح منزله حوالي كيلومتر ونصف هوائي. ودار حديث في نابلس عن عدة بنايات أخرى تسلل إليها متسللون وتحولت إلى مواقع إطلاق نار. أحدها مركز تجاري كبير في ميدان الشهداء.

في المباني المحيطة بساحة الشهداء، كانت بعض المحلات والمطاعم لا تزال مفتوحة على الرغم من الوقت المتأخر. كان "هـ" من بين حوالي مائة شاب تتراوح أعمارهم بين 18 و30 عامًا - من رواد الحفلات والعاملين - الذين ما زالوا يقضون وقتاً في الدردشة وتدخين الشيشة وتناول وجبة خفيفة ليلاً أو ترتيب وتنظيف المكان في اليوم التالي. وفي الميدان، وتحت أشجار النخيل، وقف عدد من رجال الأمن الفلسطينيين المسلحين.



ترجمة خاصة

private translation

يتمركزون هناك بشكل دائم، ليلا ونهارا. عندما لا يكونون هناك، يستنتجون في نابلس أن الجيش الإسرائيلي أبلغ آليات الأمن الفلسطينية باقتحام متوقع، وأنه يجب عليهم إغلاق مقارهم.

قال هـ في محادثة مع "هآرتس": "ربما كانت الساعة الثانية عشرة والنصف أو الثانية عشرة والرّبع". وتابع "في البداية سمعنا دوي انفجار ثم سمعنا دوي إطلاق نار". "تظرت من النافذة ورأيت رجال الأمن الفلسطينيين يطلقون النار في الهواء. دون التصويب على مكان معين، لأنهم لم يعرفوا أين يتم إطلاق النار عليهم". ولاحظ إصابة عدد من الأشخاص بجروح جراء إطلاق النار من قبل قوات الاحتلال. هرب أحدهم إلى المتجر حيث كان "ح" في ذلك الوقت، وساعد في نقله إلى سيارة إسعاف تمكنت من الاقتراب. ويقدر ح. أن جنود الاحتلال أو رجال الشرطة أطلقوا النار من المركز التجاري.

"ب" متطوع في إحدى فرق الإنقاذ الطبية الفلسطينية التي عملت في تلك الليلة، وشقيقه هو أحد أفراد جهاز الأمن الفلسطيني الأربعة الذين أصيبوا. وبناء على ما سمعه من شقيقه الذي أصيب بجروح طفيفة، قال ب لـ "هآرتس" إن سيارة مدنية فلسطينية اقتربت من عناصر الأمن الفلسطيني لتحذيرهم من أن "قوات خاصة" إسرائيلية كانت تتجول. قال ب. "لم يكن لدى السائق الوقت لإكمال الجملة، وقد أطلقوا النار على أفراد الأمن الفلسطينيين في الهواء، في تلك اللحظة لم يعرفوا أين يتم إطلاق النار عليهم. ثم هربوا." وبحسب ب.، فإن إطلاق النار جاء من المركز التجاري والمواقع المؤقتة في المباني الواقعة في الجبل الشمالي.

يقول ب. إن أول انفجار قوي سمعه ونبهه والفرق الطبية جاءت من حي رأس العين جنوب البلدة القديمة. وتبين أن انفجارا وقع في سيارة حمدي كيام الذي ورد فيما بعد بأنه عضو في حماس وعضو في "عرين الأسود". أفاد المسعفون أنهم انتشلوا جثته المتفحمة من السيارة. هل كان في طريقه إلى قلب المدينة القديمة؟ هل انفجرت قبله كانت في السيارة من تلقاء نفسها أم من الرصاصة التي أصابت السيارة؟ غير واضح. وفي نفس الوقت تقريبا سمع دوي انفجارات من قلب المدينة القديمة. يقول البعض إن الانفجار الأول الذي سُمع كان بالضبط انفجار الصاروخ الذي أطلق على شقة الحوح.

على أي حال، حتى في الأحياء البعيدة، استيقظ الناس بالفعل من الانفجار ومن تبعه، أو لم يتمكنوا من النوم: مع اشتداد إطلاق النار، ارتفعت أصوات صفارات سيارات الإسعاف، وتراكت المعلومات، وتضاعفت الشائعات. زادت المخاوف.



ترجمة خاصة

private translation

وقال أحد سكان حي غربي البلدة القديمة لصحيفة "هآرتس": "شعرنا لمدة أربع ساعات وكأنها حرب، وكنا خائفين. كان الأمر كما لو كنا في أيام الانتفاضة الثانية".

بالإضافة إلى انقطاع التيار الكهربائي في بعض أجزاء المدينة. قرابة الساعة 11، بدأت عشرات السيارات العسكرية والشرطة بالتدفق باتجاه المدينة القديمة، تدخل من أربعة مداخل للمدينة: تل، الطور، حفارة، عصيرة الشمالية. واستجاب الشجعان والشباب لدعوات "عرين الأسود" للاقترب من المدينة القديمة لتعطيل مجرى الغزو بإلقاء الحجارة وإحراق الإطارات. ولا ندري كم منهم أصيبوا بنيران الجنود، وكم من الجرحى كانوا مسلحين فلسطينيين أطلقوا النار ودخلوا في تبادل لإطلاق النار مع قوات الاحتلال.

لا يوجد مكان آمن

بعد أربعة أيام من الجنازة الجماعية للقتلى الخمسة، بدأ أقارب الحوج التحدث إلى وسائل الإعلام. قالوا إنهم تحدثوا إلى أصدقاء وديع الذين كانوا معه في الشقة تلك الليلة، وبناءً على المحادثات أعادوا صياغة مسار الهجوم الذي قُتل فيه. ليس كل شيء واضحاً في عملية إعادة البناء هذه. ما يخرج منه ومن إفادات أخرى أنه لم يتم القيام بأي محاولة لإلقاء القبض على الحوج ورفاقه. جاءت القوات مقدماً لتقتل. وفقاً لأصدقائه، تم إطلاق عدة طائرات استطلاع بدون طيار إلى الشقة. فاجأهم الأول الذي اقتحم النافذة الشمالية بينما كان الحوج وبعض أصدقائه جالسين على كرسي بذراعين أمامه. قال أقارب الأسرة إنه قيل لهم إن الحوج أطلق النار على الطائرات المسيرة.

وفي الوقت نفسه، تم إطلاق صواريخ ماتادور على الشقة من الجنوب، كما تم استخدام طائرة مسيرة أطلقت الغاز المسيل للدموع. ويقول مسعفون فلسطينيون إن الحوج قتل بخمس رصاصات أصابت بطنه وصدره، والتي تم إطلاقها على ما يبدو من موقع خارج الشقة. كما قال أقارب الحوج إنه أصر على هروب أصدقائه - الذين أصيبوا بدورهم - من الشقة وإنقاذ أنفسهم، وأصيب أحدهم، مشعل بغدادي، بجروح خطيرة وتوفي في الطريق. - الذي وصل بالفعل مع فريق طبي إلى الميدان بالقرب من مسجد النصر - يقول إنه سمع عن ستة انفجارات كبيرة.

قال ب. إن الإسرائيليين أطلقوا النار على سيارة الإسعاف عندما طلب الاقترب من بعض الجرحى. قال "اضطررنا أنا والسائق إلى الهرب من سيارة الإسعاف والاختباء حتى لا نتأذى".



ترجمة خاصة

private translation

كما أفادت فرق طبية أخرى בניران إسرائيلية عليهم، مما أجبرهم على السير في الطرق الالتفافية وأدى إلى تأخير إنقاذ الجرحى. ولم ترد الشرطة على هذا. حمدي شرف، الحلاق البالغ من العمر 35 عامًا، كان في ذلك الوقت في منزل عائلة زوجته معها وطفليهما. المنزل في البلدة القديمة قرب حلويات الأقصى مخبز الكنافة المعروف بشارع النصر. عندما وصلت شائعة "أن هناك جيشًا في المدينة"، طلب شرف وقريب آخر معرفة ما يجري - لكن الأسرة أقتعتهم بعدم القيام بذلك. ثم سمع دوي انفجار، وأصروا على الخروج. تجول الاثنان قليلاً، وغادرا المدينة القديمة، ولم يروا رجالاً مسلحين أو مختبئين وقرروا العودة.

تم إطلاق النار عليهم بالقرب من منزل عائلة زوجته، وكلاهما غير مسلحين. لم يكن هناك تبادل لإطلاق النار لأنه لم يكن أحد يعلم أين تختبئ القوة الإسرائيلية. وبحسب الشهادات التي وصلت إلى "هآرتس"، تم إطلاق النار بكتام للصوت. بعد الساعة الواحدة صباحاً بقليل أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية وفاته.

عند منتصف الليل، كان الحلاق علي عنتر لا يزال جالسًا مع أصدقائه في مقهى زعبوب، الواقع في حي البساتين خارج البلدة القديمة، على بعد عدة بنايات غرب ساحة الشهداء. في المساء، عندما يكون المقهى ممتلئًا، يخرج الزبائن مع الكراسي إلى الرصيف المقابل، بجوار متجر ملابس مغلق. كان عنتر ورفاقه جالسين هناك عندما سمع دوي الانفجار. قرر الجميع التفرق. دفع عنتر الفاتورة - كما يظهر في فيديو من كاميرا المراقبة بالمقهى. بعد ثلاثة أيام من الاقتحام، أخبر صديقه الحميم ر. "هآرتس" عن تطور الأحداث. "أعيش على بعد مئات الأمتار من المقهى، في شارع الفاطمية (الذي يمتد إلى الغرب من البلدة القديمة). بعد أن سمعنا دوي انفجار، قررنا أنه سيكون أكثر أماناً للأصدقاء الذين يعيشون في الأحياء البعيدة أن يأتوا إليّ".

بحسب ر، كان عنتر وصديق آخر يركبان الدراجة النارية وصعد إلى سيارة صديق آخر. وقال "توقفنا بالقرب من المنزل وفجأة سمعنا رصاصة". "لم نكن نعرف ما إذا كان إطلاق النار من قبل الجيش أو السلطة الفلسطينية. اختبأت أنا وصديقي خلف السيارة، جاثمين على الأرض، مع استمرار إطلاق النار. قلت لنفسى: لا يمكن أن تكون السلطة الفلسطينية تريد قتلي. في هذه المرحلة ما زلت لا أعرف أنه الجيش. فجأة اصطدم شيء ما بمؤخرة السيارة. لم نكن نعرف ما هو، وركضنا إلى شقة والديّ دون أن ننظر إلى الوراء. رأيت الموت أمام عيني. بدافع الخوف زحفت إلى السلم وأرتجف. أصبت بانهايار عصبى، في اليوم التالي للجنزة، انتهى بي المطاف أيضًا في المستشفى".



ترجمة خاصة
private translation

يشير "ر" إلى أن صديقه، الذي كان يقود السيارة في تلك الليلة، في حالة نفسية أسوأ. هو غير قادر على الكلام. اتضح أن ما أصاب السيارة هو دراجة على النار بعد إصابته. كما أصيب الصديق الذي كان يسافر معه، لكنه تمكن من الاختباء. وتابع ر. "رأهم شخص ما على الجانب الآخر من الشارع ممددين على الأرض: بدأ علي في النهوض، ثم أطلق عليه الرصاص مرة أخرى". "طلب ذلك الرجل عبور الطريق وإنقاذ علي، لكن الإسرائيليين أطلقوا النار عليه أيضًا. أطلقوا النار على أي شيء يتحرك. كل ما أردناه هو الوصول إلى مكان آمن. لكن اتضح أنه لا يوجد مكان آمن".

